۱۶۵۷

| | |
|---|---|
| مجله | حضارة الاسلام |
| تاریخ نشر | ج ۱ و ۲ ۱۳۹۳ |
| شماره | ۳-۴ سال سیزدهم |
| شماره مسلسل | |
| محل نشر | دمشق |
| زبان | عربی |
| نویسنده | محمد عزة دروزه |
| تعداد صفحات | ۱۱ - ۲۲ |
| موضوع | التوراة فی القرآن والواقع |
| سرفصلها | |
| کیفیت | |
| ملاحظات | |

# التَّوراة في القرآن والواقع

للأستاذ محمد عزة دروزة

يطلق اليهود والنصارى اسم ( التوراة ) على ما يسمونه ( العهد القديم ) ومنهم من يطلقه على الاسفار الخمسة الاولى من هذا العهد ، ويجاريهم في هذا او ذاك كثير من المسلمين بل وغير المسلمين من غير اليهود والنصارى .

وهذا خطأ من وجهة نظر القرآن والواقع معا . ولقد ذكر القرآن الكريم ( التوراة ) مرارا عديدة بلغت ثماني عشرة . واحدة في سورة مكية وهي سورة الاعراف ( الآية ١٥٧ ) وباقيها سور مدنية . ومنها ما فيه دلالة صريحة على ان القصد منها هو كتاب الشريعة الموسوية المنزل من الله تعالى، كما يفهم في هذه الآيات مثلا :

١ ــ « كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التوراة قل فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين .. » آل عمران ٩٣ .

٢ ــ وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما اولئك بالمؤمنين ... » المائدة ٤٣ .

٣ ــ « وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون .. » المائدة ٤٥ .

والمرة الوحيدة التي ذكرت فيها التوراة في سورة مكية ذكر فيها ان اليهود والنصارى يجدون صفات النبي محمد صلى الله عليه وسلم مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل، وهذا نص الآية ( الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل .. يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم ... ) سورة الاعراف ١٥٧ .

واسم موسى عليه السلام لم يقترن في القرآن بذكر التوراة ، ولكن في القرآن آيات عديدة تفيد

الكتاب الذي انزله على موسى
ما جاء في هذه الآيات :

١ ـ « ما قدروا الله حق قدره
قالوا ما انزل الله على بشر من
ء قل من انزل الكتاب الذي جاء
موسى نورا وهدى للناس ...
نعام ٩١ .

٢ ـ ولقد آتينا موسى الكتاب
اختلف فيه ولولا كلمة سبقت من
ك لقضي بينهم وانهم لفي شك
نه ريب » . هود ١١٠ .

ويلفت النظر الى وحدة الصفة
بي وصف بها التوراة في
دة المائدة ٤٤ . ووصف بها الكتاب
آية الانعام ٩١ . مما يفيد انه شيء
حد .

ولقد ذكر في الاصحاح ( ٢٤ )
سفر الخروج وهو ثاني الاسفار
خمسة الاولى من اسفار العهد
قديم خبر صعود موسى الى الطور
تلقيه وصايا الله وكلامه ( فجاء
وسى وقص على الشعب جميع
لام الرب وجميع الاحكام فاجابه
شعب بصوت واحد وقالوا جميع
تكلم به الرب نعمل به . فكتب
وسى جميع كلام الرب في (كتاب)
قد سمى هذا الكتاب بكتاب العهد
حيث ذكر في الاصحاح نفسه (فاخذ
وسى كتاب العهد وتلاه على مسامع
شعب فقالوا كل ما تكلم الرب
نعمله ونائمر به وفي سفر تثنية
شتراع وهو خامس الاسفار
الخمسة من العهد القديم وفيه
تكرار لكثير مما جاء في الاسفار
السابقة له ذكر للتوراة ثلاث مرات .
واحدة في الاصحاح ( ١٧ ) ( اذا
دخلت الارض التي يعطيك الرب
الهك وملكتها وسكنت فيها
واقمت ملكا على عرش فليكتب له
نسخة من هذه التوراة في سفر من
عند الكهنة اللاويين ولتكن عنده
يقرا فيها كل يوم من ايام حياته
لكي يعلم كيف يتقي الرب ويحفظ
كلام الله ) وواحدة في الاصحاح (٣١)
( وكتب موسى هذه التوراة ودفعها
الى الكهنة بني لاوى حاملي تابوت
العهد ) وواحدة في نفس الاصحاح
( ولما خرج موسى من رقم كلام هذه
التوراة في سفر بتمامه امر
حاملي تابوت العهد قائلا خذوا هذا
السفر واجعلوه . الى جانب عهد
الرب الهكم في التابوت فيكون ثم
عليكم شاهدا . لاني اعلم تمردكم
وقسوة قلوبكم ، فانكم وانا في
الحياة معكم اليوم قد تمردتم على
الرب فكيف بعد موتي ) .

فهذه النصوص تفيد قطعا ان
موسى عليه السلام كتب تبليغات
الله ووصاياه وتعاليمه .

ـ « ومن قبله كتاب موسى اماما
ورحمة » هود : ١٧ ) .

ـ « ولقد آتينا موسى الكتاب
فاختلف فيه . ولولا كلمة سبقت
من ربك لقضي بينهم وانهم لفي شك
منه مريب ( هود : ١١٠ ) .



ـ « وكتبنا له في الالواح من كل
شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء »
( الاعراف ١٤٥ ) .

ـ « ولما سكت عن موسى الغضب
اخذ الالواح وفي نسختها هدى
ورحمة للذين هم لربهم يرهبون »
( الاعراف ) .

ويلحظ ان وصف (هدى ونور)
الذي وصفت به التوراة في آية
سورة المائدة ( ٤٤ ) وقد وصف بها
( الكتاب ايضا كما جاء في آية سورة
الانعام ( ٩١ ) حيث يمكن القول ان
الكتاب يعني التوراة .

واضح من الآيات القرآنية ان
المقصود القرآني من كلمة (التوراة)
هو الكتاب المنزل من الله تعالى على
موسى عليه السلام المحتوي
للمبادىء والتعليمات والتشريعات
والاحكام والحدود الربانية ؛
واستعمال اللفظ مفردا يشوغ
القول انه كتاب واحد وان كان
لا يمنع هذا ان يكون ذا فصول
عديدة .

هذا في حين ان المتداول والذي
يسمى (التوراة) ويسمى ايضا باسم
( العهد القديم ) هو مجموعة ضخمة
من اسفار عديدة منفصل بعضها عن
بعض ، وباسماء مختلفة ، وعددها
عند فريق من الكتابيين النصارى
( الطبعة البروتستانتية ) تسعة
وثلاثون وعند فريق آخر منهم
( الطبعة الكاثوليكية ) ستة
واربعون(١) وهي عائدة الى حقب
عديدة بدءا من تاريخ خلق الكون
وآدم وحواء ونوح وطوفانه واولاده
وانسابهم الى ابراهيم وذريته الى
موسى وبعده الى اوائل عصر عيسى
عليهم السلام . واسلوبها مزيج من
السمة الدينية والتاريخية ، منها
ما تغلب عليه السمة الدينية التي
منها التشريع والوصايا والاحكام
والطقوس والاوامر والنواهي
الاخلاقية والاجتماعية والاسرية
والانذار والتبشير والتسبيح والحكمة
والمواعظ ومنها ما تغلب عليه السمة
التاريخية واولها ( سفر التكوين )
وهو الذي يحتوي خبر خلق الكون
وآدم وحواء ونوح وابراهيم وليس
فيه دلالة على انه من وحي الله
تعالى وان كان فيه حكاية كلام
منسوب الى الله وحكاية لما كان من
اتصالات بين الله والانبياء المذكورين
فيه وليس فيه دلالة على انه من
تبليغ موسى او املائه او تبليغ
واملاء شخص آخر .

وفيه ما قد يفيد انه كتب بعد
موسى وباسلوب الحكاية ! وباقلام
عديدة لما فيه من تناقض ، وفيه
اقوال وافعال ووصايا ومواقف
منسوبة الى الله وانبيائه ، ينزهون

١ ـ هناك من يحصر تسمية ( التوراة ) بالاسفار الخمسة الاولى من اسفار العهد القديم
وهي اسفار التكوين والخروج والاحبار والعدد وتثنية الاشتراع انظر تاريخ سورية للمطران الدبس
ج ٢ مجلد ٢ ص ١١ ـ ١١٦ والمشهور ان طائفة السامره لا تعترف الا بهذه الاسفار وتسميها التوراة .

عنها ومن ذلك على سبيل المثال سماح الله لنسل ابراهيم واسحاق ويعقوب بتدمير وابادة شعوب ارض كنعان وغيرها والاستيلاء على بلادهم واملاكهم بالقوة والدم ، حرمان بكر ابراهيم واولاده الآخرين وحرمان بكر اسحاق من ارث ابويهم لحصره في بني اسرائيل واحتيال يعقوب على ابيه ومضاجعة احد ابناء يعقوب وهو من الاسباط لاحدى زوجات ابيه ، ومضاجعة بنات لوط مع ابيهم الخ .. الخ وفي هذا السفر وعود منسوبة الى الرب لابراهيم واسحاق ويعقوب في صدد ملك ارض كنعان وغيرها فيها تضارب وتناقض واستدراكات ، فقد ذكر في اصحاحه الثاني عشر ان الرب قال لابراهيم حينما قدم الى ارض كنعان مرة ـ والمستفاد ومن عبارات السفر والاسفار الاخرى أن ارض كنعان هي القسم المتوسط من فلسطين ـ ( لنسلك اعطي هذه الاراضي ) وقال له في تجل ثان كما جاء في الاصحاح الثالث عشر ( انظر من الموضع الذي انت فيه شمالا وجنوبا وشرقا وغربا ان جميع الارض التي تراها لك اعطيها ولنسلك الى الابد ) .

فتطور القول من قسم من فلسطين الى جميع فلسطين لم جاء في الاصحاح الخامس عشر في ذلك اليوم بتة الرب مع ابراهيم عهدا قائلا لنسلك اعطي هذه الارض من مصر الى النهر الكبير نهر الفرات ) وفي الاصحاح السابع عشر تراجع عجيب حيث جاء فيه مغرورا الى الرب خطايا لابراهيم ( واعطيك ارض غربتك لك ولنسلك من بعدك جميع ارض كنعان ملكا مؤبدا واكون لهم الها ) . وبعد ولادة اسماعيل جاءت ابراهيم بشارة بولادة اسحاق في الاصحاح(١٧) وجاء مع البشارة عن لسان الرب ان عهده في صدد تمليك الارض يكون لاسحاق ونسله من بعده دون بكره اسماعيل وفي الاصحاح ( ٢٥ )

خبر تزوج ابراهيم من زوجة جديدة اسمها مطورة وولادة أولاد له منها وقد جاء في السفر ان ابراهيم اعطى جميع ماله لاسحاق فقط مع هبات عابره لاولاده الآخرين دون تمليك ارض . وفي نفس الاصحاح خبر مباركة الله لاسحاق دون غيره من اخوته وفي الاصحاح ( ٢٦ ) خبر تجلي الرب لاسحاق وقوله له انني اعطيك ولنسلك الارض ) . وفي الاصحاح (٢٧) خبر احتيال يعقوب على ابيه الذي شاخ وعمي وتقديمه لنفسه بانه بكره عيسو لان اسحاق طلب من عيسو ان يصنع له طعاما من صيده ليباركه وخبر مباركة اسحاق ليعقوب على اعتبار انه عيسو وقوله له بانه يكون سيدا على اخوانه ويسخر له بنو امه ، ولقد عرف اسحاق الحيلة ولكنه قال لعيسو : ان اخاه



قد اخذ البركة والعهد دونه . وفي الاصحاح ( ٢٨ ) خبر تجلي الرب ليعقوب وقوله ( انا الرب اله ابراهيم ابيك واله اسحاق والارض التي انت قائم عليها لك اعطيها ولنسلك ويكون لنسلك كتراب الارض وتنمو غربا وشرقا وشمالا وجنوبا ) وهكذا يكون السفر قد سجل ملك ارض كنعان تارة وملك اراض ـ شاسعة اخرى من شرقها وجنوبها وشمالها تارة لابراهيم وهو الجد الثالث الاعلى لبني اسرائيل ثم استدرك فسجل اختصاص اسحاق ابنه دون سائر ابنائه ودون بكره اسماعيل بذلك وهو الجد الثاني لبني اسرائيل ثم استدرك فسجل اختصاص يعقوب بن اسحاق دون ابنه الثاني بذلك بطريق الاحتيال وكل ذلك من دون ريب مفتعل ، لاختصاص بني اسرائيل دون غيرهم و ( اسرائيل ) هو الاسم الثاني ليعقوب مما يتنزه الله عنه ومتأثر بما وقع من احداث بعد خروج بني اسرائيل من مصر وطروئهم ارض فلسطين وسيرة حياتهم فيها .

ولقد جاء في الاصحاح ( ٢٦ ) من هذا السفر مثلا ( ذكر ابي مالك ملك فلسطين في جرار ) في سياق خبر سكنى اسحاق بن ابراهيم في ارض هذا الملك . كما ذكر في هذا الاصحاح عبارة ( الفلسطينيون ) اكثر من مرة وسكنى اسحاق تخمن في القرن التاسع عشر قبل الميلاد .

والجماعات التي عرفت بالفلسطينيين وصارت فلسطين تدعى باسمهم انما طرات على جنوب فلسطين من جزر البحر الابيض المتوسط في القرن الرابع عشر قبل الميلاد . وقد ذكروا مرارا في الاسفار الاخرى في سياق النضال بينهم وبين بني اسرائيل بعدما طرا هؤلاء على فلسطين في القرن الثاني عشر قبل الميلاد ، فالتسمية متأثرة بالواقع ، والسفر يكون قد كتب في هذا الظرف اي بعد احداث ابراهيم واسحاق ويعقوب وذريتهم في فلسطين التي ذكرت في السفر بنحو سبعة قرون .

وفي الاصحاح ( ٤٠ ) من السفر حكاية قول ليوسف وهو انه خطف من ارض العبرانيين والارض التي خطف منها يوسف لم تكن تعرف بارض العبرانيين وانما بارض اسرائيل مرة بعد ما طرا بنو اسرائيل على فلسطين في القرن الثاني عشر قبل الميلاد ويكون في هذا المثال ما في المثال السابق من دلالة على تأثر كتابه بسفر التكوين بوقائع واحداث بني اسرائيل بعد خروجهم من مصر ويكون هذا السفر قد كتب بعد الاحداث المذكورة فيه بقرون عديدة ولو اردنا الاستقصاء لاوردنا امثلة اخرى ولكننا نكتفي بما تقدم .

وهذا لا يمنع ان يقال ان ماجاء في هذا السفر من احداث قديمة هو ذكريات كانت متداولة فيها الغث والسمين والخيال

والحقيقة والصدق والكذب ، ولا يبعد ان يكون بعضها منقولا عن مخطوطات ونقوش قديمة عينا او محرفة زيادة او نقصا .

وفي هذا السفر عبارة صريحة تدل دلالة قاطعة على تاثر تدوينه ومدونيه بأحداث بني اسرائيل حينما طرأوا على ارض كنعان ونشب العداء والحرب بينهم وبين الكنعانيين فمع اصباحه التاسع ما يلي ( ابتدأ نوح يحرث الارض وغرس كرما ، وشرب من الخمر فسكر وتكشف داخل خبائه فرأى حام أبو كنعان سوءة ابيه فاخبر اخويه وهما خارجا فاخذ سام ويافث رداء ووجلاه على منكبيهما ومشيا مستديرين فغطيا سواة ابيهما ووجهاهما الى الوراء وسواة أبيهما لم يراها فلما افاق نوح من خمره علم ما صنع به ابنه الصغير فقال ملعون كنعان . عبدا يكون لعبيد اخوته .

وقال تبارك الرب اله سام : وليكن كنعان عبدا له يرحب الله ليافث يسكن في اخبية اخيه سام ويكون كنعان عبدا له ) ويستفاد من وصف حام بصفة ( ابنه الصغير ) انه لم يكن تزوج وولد له كنعان وكنعان ليس هو على كل حال الذي راى سواة حام وليس هو ولد حام الاوحد بل هو رابع ولد له بالترتيب حيث ذكر قبله كوش ومصرائيم وفوط كما جاء في الاصحاح العاشر من السفر فتسجيل السفر اللعنة على كنعان غير المذنب وغير الوحيد من ابناء حام والذي لم يكن قد ولد بعد يدل دلالة قاطعة على ماذكرناه .

وهذا السفر يذكر ان ابراهيم الذي هو حسب ماورد فيه جد بني اسرائيل من ذرية سام فيكون التسجيل المذكور من هذه الناحية توكيدا للافتعال من حيث ان فيه تسجيلا لدعاء نوح بان يكون كنعان عبدا لسام ..

ويأتي في الترتيب بعده اسفار ( الخروج ) و ( الاحبار ) الذي يسمى ايضا (اللاويين)(1) و (العدد) وتثنية الاشتراع ) وهي عائدة الى حقبة حياة موسى وتتضمن حكاية احداث هذه الحقبة مع كثير من التشريعات والتعليمات والوصايا الاخلاقية والاجتماعية والقضائية والاسرية والماشية والصحية والطقسية والكهنوتية والانذارات والتبشيرات باسلوب الحكاية ايضا وسفر ( الاحبار ) وحده مقصور على التشريعات والتعليمات والوصايا والانذارات والتبشيرات المذكورة

1 ــ الاحبار : تعني الكهان وكهان بني اسرائيل هم حسب النصوص المحصورون في سبط لاوي الذي ينسب موسى وهارون اليه ولذلك سمي هذا السفر باسم اللاويين ايضا وكهان بني اسرائيل من نسل هارون لان موسى لم يعقب .



والاخرى مزيجة من ذلك ومن التاريخ وليس فيها ما يفيد انها من املاء موسى او انها كتبت في عهده بل فيها ما يفيد انها كتبت بعده وباقلام عديدة وفي ازمنة مختلفة وتاثرت بواقع والاحداث بعد موسى واختلطت الحقائق فيها بالخيال والمبالغات والمفارقات والاكاذيب ونسب فيها الى الله ورسله ما يتنزهون عنه من اقوال وافعال ووصايا ومواقف .

ومن ذلك على سبيل المثال الامر بتدمير وابادة شعوب ارض كنعان والاستيلاء على بلادهم ونهب حلي المصريين وعدم قبول بعض الشعوب في دين الله وانحرافات دينية واخلاقية وسلوكيه منسوبة الى موسى وهارون وداود وسليمان وحصر النواحي والاوامر والتشريعات في بني اسرائيل واباحة مخالفتها مع غيرهم الخ .. الخ ..

ولقد جاء بعضها مكررا في البعض الآخر مع كثير من التباين احيانا زيادة او نقصا او عبارة او موضوعا وفي بعضها المتاخر ماليس في البعض الآخر المتقدم مما فيه الدلالة الحاسمة على انها كتبت باقلام عديدة وفي ازمنة مختلفة واستقى كتابها مادتهم من مصادر مختلفة من روايات وذكريات متداولة على الالسن من مخطوطات ومنقوشات قديمة متباينة فيها الغث والسمين والحقيقة والخيال والصدق والكذب والمبالغات والخرافات ولقد جاء مثلا في الاصحاح الثاني عشر من سفر العدد هذه العبارة ( وكان موسى رجلا حكيما جدا اكثر من جميع الناس الذين على وجه الارض ) في سياق خبر معاتبة اخيه واخته له ولا يمكن ان يكون كاتب هذه العبارة وبالتالي كاتب السفر قد كتبها الا بعد موسى بمدة ما ، ولقد جاء في الاصحاح الاخير في سفر تثنية الاشتراع ذكر موت موسى ودفنه في الوادي في ارض مؤاب وقد قال الكاتب بعد ذلك ( ولم يعرف غيره الى يومنا هذا ) حيث يفيد ان كتابة الجملة وبالتالي كتابة السفر انما كانت بعد وفاة موسى بمدة طويلة .

ولقد ورد في الاصحاح ( ١٧ ) من هذا السفر هذه العبارة ( اذا دخلت الارض التي يعطيك الرب الهك وملكتها وسكنت فيها فقلت اقيم علي ملكا كسائر الامم الذين حولي فاقم عليك ملكا يختاره الرب الهك .. الخ ) وهذا حادث وقع فعلا بعد موت موسى بنحو مئتي سنة ونتيجة لما وقع على بني اسرائيل من غزوات وضربات وبعد مراجعات ومجادلات بينهم وبين كاهنهم الاكبر صموئيل وانذار هذا اياهم وتحذيره لهم على ماورد في سفر صموئيل الاول الذي تسميه الطبعة الكاثوليكية الملوك الاول مما فيه في الحقيقة تسجيل للحادث بعد وقوعه ومما

يدل على ان السفر قد كتب بعد وقوع الحادث بمدة ما .

وفي الاصحاح الاول من سفر العدد حكاية امر الله لموسى باحصاء المعدودين من الذكور ( أي الذين يصح تجنيدهم للحرب كما هو المستفاد من سياق الكلام ) من ابناء العشرين فما فوق من ابناء بني اسرائيل الذين خرجوا معه من مصر الى سيناء باستثناء سبط لاوي الذي لا يدخل في الاحصاء لانه مكرس للكهانة ولا يجند وقد بلغ هذا العدد ستمائة الف وثلاثة آلاف وخمسمائة وخمسين فاذا اضفنا الى هذا الرقم ثلثه على الاقل للذين هم دون العشرين من الذكور ثم اذا اضفنا الى الحاصل مثله للاناث واذا قدرنا عدد افراد سبط لاوي بالمقارنة مع عدد الاسباط الاخرى بمائة الف على الاقل ظهر ان عدد بني إسرائيل الذي خرجوا من مصر الى سيناء مليون وثمانمائة الف .

والمبالغة الكبيرة في هذا الرقم صارخة بجعل كذبه امرا يقينيا بالنسبة لسكان الارض عامة ولسكان مصر خاصة في القرن الثالث عشرة قبل الميلاد ويبرز الخيال الواسع في تاليف السفر .

ولقد ورد في سفر الاحبار مثلا انذار بما وقع فعلا على بني اسرائيل بعد موسى بمدة طويلة من غزوات وضربات خارجية ومن اجلاء وتشتيت شمل بين الامم ومن وعد بتحنين قلب الرب وارجاعهم مرة اخرى وجمع شملهم بعد التبديد والتشتيت وهو ما تم فعلا بعد السبي مما لا يعقل ان يذكر الا بعد وقوعه ومثل هذا الانذار متكرر في سفر تثنية الاشتراع ايضا .

ويأتي بعد الاسفار الخمسة مما السمة التاريخية عليه غالبة اسفار يوشع والقضاة وراعوث وصموئيل الاول وصموئيل الثاني ( السفران الاخيران يسميان في الطبعة الكاثوليكية ) ( الملوك الاول والملوك الثاني ) والملوك الاول والملوك الثاني ( وهذان يسميان في الطبعة المذكورة الملوك الثالث والملوك الرابع) واخبار الايام الاول واخبار الايام الثاني وعزرا ونحميا واستير وطوبيا ويهوديت ( والسفران الاخيران من زوائد الطبعة الكاثوليكية وترتيبهما قبل سفر أستير ) وسفر المطابيين الاول وسفر المطابيين الثاني ( وهذان الاخيران من زوائد الطبعة الكاثوليكية وهما في الترتيب آخر أسفار العهد القديم ) وتؤرخ هذه الاسفار سيرة بني اسرائيل من بعد موسى الى ما بعد سبي بابل الى زمن الحكم اليوناني قبل الميلاد المسيحي . وقلنا : ان السمة التاريخية غالبة عليها لانها لا تخلو بدورها من سمة دينية وعظية وانذارية ! .. ونشاط انبياء وتبليغاتهم عن الله تعالى الخ .



وتمزج الحقائق فيها بالخيال والمبالغات والمفارقات والاكاذيب وفيها دلالات كثيرة على انها كتبت بعد مدة من الاحداث والوقائع المذكورة فيها وانها تأثرت بها وانها كتبت بأقلام متعددة ، وفي ازمنة مختلفة ولقد جاءت حكاية الاحداث في بعضها مباينة لما جاء في بعض آخر او مناقضة له او زائدة عليه او ناقصة فيه مما يدل على ذلك بل وفي بعضها ما ذكر في اسفار التكوين والخروج والعدد مع نقص وزيادة ومباينة وكل هذا يسوغ القول : ان كتابها استقوا مادتهم من مصادر مختلفة متباينة قد يكون منها الروايات المتداولة على الالسن ومخطوطات قديمة فيها ما فيها من غث وسمين وكذب وصدق وحقيقة وخيال وخرافة ولقد جاء في الاصحاح الثالث من اخبار الايام الاول مثلا سلسلة اسماء ملوك يهوذا الى آخرهم وفي الاصحاح التاسع منه ما فعله بنو خذ نصر ملك بابل الذي قتل صدقيا آخر ملوك يهوذا ( وسبي يهوذا الى بابل لاجل خيانتهم ) وفي الاصحاح السادس والثلاثين من سفر اخبار الايام الثاني هذه الجملة ( وفي السنة الاولى لكورش ملك فارس لتمم الرب روح اكورش فاطلق نداء في كل مملكته قائلا : ان الرب اعطاني جميع ممالك الارض واوصاني أن ابني له بيتا في اورشليم التي في يهوذا )

مما فيه دلالة قاطعة على ان سفر اخبار الايام كتب في نهاية دولة يهوذا والثاني بعد السبي ولقد ذكر سفر الملوك الثاني ( الرابع في الطبعة الكاثوليكية ) سيرة ملوك دولتي اسرائيل ويهوذا الى نهايتهما بما في ذلك نسف بنو خذ نصر لدولة يهوذا وسبي اليهود الى بابل كما ذكر بعض احداث جرت بعد السبي او عقبه مما فيه دلالة قاطعة على انه كتب بعد نهاية دولة يهوذا فضلا عن احتمال كتابته بعد السبي وهو ما نرجحه . ولما كان هذا السفر هو امتداد واستمرار لسيرة ملوك دولتي اسرائيل ويهوذا التي بدء بها في السفر الاول فالكلام المذكور ينسحب على هذا ايضا لما هو المتبادر .

ولا تخلو الاسفار الاخرى من التي تؤرخ بعض احداث ما قبل السبي من دلائل وقرائن مماثلة تسوغ القول : انها كتبت بعد السبي مثلها .

والاسفار العائدة الى حقبة ما بعد السبي قد كتبت باسلوب الحكاية وليس فيها دلالة على انها كتبت باملاء او اقلام الاشخاص التي تحمل اسماءهم والمتبادر انها كتبت باقلام كتاب آخرين بعد موت هؤلاء الاشخاص بمدة ما وقد يكون الكتاب قد استقوا مادتهم من الروايات المتداولة او من مخطوطات قديمة فادى ذلك الى امتزاج الحقيقة بالخيال والصدق بالكذب والمبالغات في هذه الاسفار .

والى جانب هذه الاسفار اسفار عديدة اخرى تمود كذلك الى حقبة ما بعد موسى والى مابعد السبي او الى اوائل عصر المسيح تغلب عليها السمه الدينية باسلوب الابتهالات والتسبيحات والمواعظ والحكم والانذار والتبشير والرؤى على السنة اصحابها الذين يغلب ان يكونوا انبياء وهي انزامير والامثال والجامعة ونشيد الاناشيد ونبوءة اشميا ونبوءة ارميا ومراثي ارميا ونبوءة باروك ( وهذا من زوائد الكاثوليكية ) ونبوءة جزقيال ونبوءة دانياء ونبوءة هوشع ونبوءة يوئيل ونبوءة عاموس ونبوءة عوبيديا ونبوءة ميخا ونبوءة لخوم ونبوءة حبقوق ونبوءة صفنيا ونبوءة حجاص ونبوءة زكريا ونبوءة ملاخي ومعظمها او كلها رؤى رآها اصحابها في منامهم او في يقظتهم ومع سمتها الغالبة المذكورة فانها تمثل ناحية هامة من تاريخ وحياة بني اسرائيل السياسية والاجتماعية والثقافية وفي بعضها تندب وعويل على ما حل في بني اسرائيل وتنديد باخلاقهم والخرافات السابقة والراهنة باسلوب قارع .. وتناقض مع ذلك بتبشرهم بالعلو والانتصارات قاصمة بل شتائم قارعة للامم والبلدان التي سلطها الله عليهم ؛

بسبب انحرافاتهم على ما ذكرته الاسفار المذكورة ايضا وهذا من تناقضاتها وفيها ما يدل على انها كتبت بعد موت اصحابها بمدة طويلة باعلام كتاب آخرين من ذكريات ومسموعات ومحفوظات متداولة وانها تاثرت بالاحداث التي وقعت بعد الاشخاص المنسوبة اليهم فلا يصح أخذها على حالتها ويجب ملاحظة كل ذلك اثناء النظر فيها .

ولقد ورد مثلا في الاصحاح الخامس والاربعين من سفر نبوءة اشميا الذي يستفاد من عباراته انه عاش في عهد ملوك يهودا ( عزيا ويوثام وآحاز وحزقيا ) اسم كورش ملك الفرس الذي تغلب على مملكة بابل وفيه هذه الجملة خطابا لسبي اليهود في بابل الذين سباهم اليها بنو خذ نصر ( اخرجوا من بابل واهربوا من ارض الكلدانيين ) مما فيه الدلالة القطعية على ان هذا السفر كتب بعد السبي وبالتالي بعد وفاة اشميا المنسوب اليه بمدة طويلة وزيد عليه ما لا يمكن ان يكون اشميا كتبه او قاله .

ولقد ورد في سفر حزقيال الذي يستفاد منه انه من رجال سبي بابل وعاش ومات في السبي تنديدات قارعة باخلاق بني اسرائيل واحوالهم وخرافاتهم قبل السبي وفي اثنائه .

وتذاكر بما سلطه الله عليهم من هوان وشتات واضطهاد وتدمير بسبب ذلك وفيه في الوقت نفسه تنديد بالامم التي سلطها الله عليهم



الله سوف يعيد بني اسرائيل الى نحومهم الاولى في ارض ميعاد آبائهم ويجمع شتاتهم ويراف بهم وينصرهم مما فيه تناقض واضح ولقد عاد بعض المسبيين فعلا بعد موت حزقيال بمدة ما وتطورت احوالهم وصار لهم كيان جديد حيث يرجح ان هذا التناقض اثر من آثار ما اثاره التطور الجديد في بني اسرائيل بعد العودة من السبي وان اقلاما اخرى بعد السبي قد لعبت دورا في صياغة السفر او في تجديد صياغته .

ولا تخلو الاسفار الاخرى من مثل ذلك واكثر حيث يمكن القول : انه دخل تخريفات متنوعة على هذه الاسفار المنسوبة الى انبياء من بني اسرائيل لغايات سياسية ومن بين الاسفار العائدة الى ما بعد موسى سفران لا يبدو لهما صلة بتاريخ وحياة بني اسرائيل وهما سفرا ( ايوب ) و ( نبوءة يونان ) والاول يتضمن سيرة النبي ايوب المذكورة في القرآن وقد قال عنه السفر : انه كان في ارض عوص والثاني هو سيرة يونان بن امتاي في نينوى وهو على الارجح النبي يونس المذكورة سيرته في القرآن الكريم باشارات خاطفة ومتطابقة اجمالا مع ما جاء في هذا السفر ، والآثار الاسلامية تسميه يونس بن متى والكلمات تعريب لكلمتي يونان بن امتاي ، وهناك سفران آخران فيهما مواعظ وحكم وهما (الحكمة) و ( يشوع ابن شيراخ ) وهما من زوائد الطبعة الكاثوليكية ولا يبدو فيهما ما يدل على ان لهما صلة بحياة وتاريخ بني اسرائيل .

وحتى سفر المزامير الذي هو ابتهالات ودعوات لايخلو من دلائل على ان منه ما تاتى باحداث وقعت بعد عهد داوود بمدة طويلة .

( التوراة ) التي كتب موسى عليه السلام فيها كلام الله وتبليغاته واحكامه لا يصح ان يطلق على هذه المجموعة . ولا على اي سفر منها من وجهة نظر القرآن ومن وجهة نظر الواقع مما .

ولقد ذكر في الاصحاح الثامن من سفر المدل الاول ( هذا السفر في الطبعة الكاثوليكية يسمي الملوك الثالث ) ما يفيد ان سفر توراة موسى قد فقد قبل سليمان حيث ذكر انه لم يكن في تابوت العهد الذي نقله سليمان من مدينة داود الى المعبد الجديد الذي انشاه ، فقد كان تابوت العهد يحفظ في خيمة المعبد اثناء حياة بني اسرائيل القبيلية فلما ملك داود وانشأ قصرا له في بيت المقدس الذي سمى مدينة داود نقل التابوت الى هذا القصر فنقله سليمان بدوره الى المعبد الجديد . وفي هذا الاصحاح ذكر انه لم يكن في التابوت الا الكوجان الحجريان .

والمستفاد من نصوص عديدة في اصحاحات سفر الخروج ٢٤ و٣١ و ٣٢ و ٣٤ ان اللوحين شيء غير سفر التوراة الذي كتبه موسى قطعا . وفي بعض عبارات هذه الاصحاحات ذكر ان المكتوب فيهما الكلمات العشر ، وفي بعضها ذكر انها مكتوبة بيد الله عز وجل مما يدعم ذلك دعما صريحا وحاسما .

ولقد ذكر في اصحاحات سفر صموئيل الاول المسمى في الطبعة الكاثوليكية باسم ( الملوك الاول ) ان الفلسطينيين هاجموا الاسرائيليين وضربوهم وهزموهم واخذوا تابوتهم . وبقي عندهم سبعة أشهر ثم اعادوه على عجلة تجرها بقرتان لانهم ابتلوا بالبواسير وظنوا ان ذلك بسبب تابوت بني اسرائيل فمن المحتمل ان يكون السفر قد فقد من التابوت في هذا الظرف حيث يكون الفلسطينيون قد فتحوا التابوت وعبثوا فيه الا اللوحان .

وفي الاصحاح ( ٢٢ ) من سفر الملوك الثاني خبر عجيب ، وهو ان كاهن المعبد اخبر الملك يوشيا انه عثر على التوراة في بيت الرب اثناء الترميم . والمرجح على ضوء ماذكر قبل قليل ان الكاهن كتب ما قال انه سفر موسى من ذاكرته او من قراطيس متداولة . واراد ان يتقرب الى الملك والناس بقوله انه وجد السفر . لان ما ذكر في الاصحاح الثامن من سفر الملوك صريح بانهم حينما جاؤوا بالتابوت الى معبد سليمان لم يكن السفر فيه .

ولقد جاء في الاصحاح السابع من سفر عزرا الذي يؤرخ طرفا من حميعه عوده جماعة من المسبيين الاسرائيليين من بابل الى اورشليم ان عزرا كان كاتبا ماهرا في توراة موسى التي اعطاها الرب الى اسرائيل . فبذل له الملك ارتحشتا كل ما طلب . واصعده الى اورشليم وامره باقامة حكم الله . وشرائع الله . وشريعة الملك . ثم جاء في الاصحاح الثامن من سفر نحميا الذي يؤرخ كذلك طرفا من الحقيقة المذكورة آنفا ان الشعب العائد اجتمع في ساحة المعبد وطلب من عزرا احضار سفر توراة موسى فاحضره واخذ يتلوه امام الجماعة . ولا يمكن الجزم بما اذا كان عزرا كان يحفظ التوراة غيبا واكتب السفر من ذاكرته ام كان يحتفظ بنسخة من التوراة التي يمكن ان تكون نسخة من التوراة التي قال الكاهن للملك يوشيا انه وجدها .

وفي القرآن آيات عديدة تسوغ القول ان التوراة المنزلة على موسى عليه السلام التي فيها احكام الله ووصاياه كانت متداولة في ايدي اليهود في زمن النبي صلى الله عليه وسلم مثل آيات سورة البقرة (١٢٩) وآل عمران ٩٣ والمائدة ٤٣ — ٤٦ و ٦٦ — ٦٨ والاعراف ١٥٧ وقد



تكون هي التي ذكر خبر وجودها في زمن الملك يوشا وخبر تلاوتها من قبل عزرا او نسخة عنها فظلت متداولة الى زمن النبي صلى الله عليه وسلم ، وبديهي انها شيء غير اي سفر من اسفار العهد القديم المتداولة اليوم . ولم تصل الى عهدنا حيث تكون فقدت اثناء ماكان يقع على اليهود من ضربات وتشريد وكان فقدها نهائيا .

ولقد قلنا قبل ، ان في اسفار الخروج والعود وتثنية الاشتراع تبليغات ووصايا كثيرة متنوعة مبلغة من الله تعالى لموسى وان سفر الاحبار قاصر على ذلك . غير ان ماجاء في هذه الاسفار من ذلك جاء باسلوب الحكاية ، وبينها تباين في الاسلوب والعبارات . وفي بعضها ما ليس في الاخر . وفيها اقوال وافعال منسوبة الى الله ورسله يتنزهان عنها بحيث يمكن القول ان كتابها استقوا ماكتبوه من مصادر متنوعة وان كل واحد كتب ما كتبه مستقلا عن الاخر وفي ظرف وزمن غير الاخر . وانهم لم ينقلوا مافيها من تبليغات لموسى عليه السلام معزوة الى الله تعالى من سفر توراة موسى مباشرة وبحيث يمكن القول ان ماجاء فيها مما يجوز ان يكون في اصله من هذا السفر قد سمعه كتابها من روايات ومحفوظات ومدونات شحنت بما ذكرناه من تباين وتناقض واختلاف وتحريف . ولا يمكن والحالة هذه اعتبار اي منها بديلة عن توراة موسى المفقودة التي هي وحدها التي يحترمها المسلمون وفيها احكام الله ووصاياه المبلغة لموسى دون تناقض وتباين ومقابلات وتحريفات . ولا يصح تبعا لذلك من الوجهة العلمية . والواقعية اطلاق اسم ( التوراة عليها ) ومن قبل المسلمين بنوع خاص . ففي هذا الاطلاق تجوز كبير فضلا عن التجوز الاكبر في اطلاقه على مجموعة اسفار العهد القديم .

والحمد لله رب العالمين .